معي بالخدمة تنال « حصة الاسد » من هذه « الخيرات » . اشيـــاء كثيرة لا زلت اذكر صورها عن هذه الحماة ، لقد تأسيت منها كثيرا ، والانسان قد يغفر لمن يسيء له لكنه لن ينساه .

كانت كثيرا ما تبصق في وجوهنا مرسلة كفها الضخمة الى قفانا وخدودنا لا لسبب في اغلب الاحيان سوى انها اعتادت فعل ذلك ! اذكر عنها انها كانت عندما تكلفنا قضاء حاجة لها تأخذ بالنعيق موصية: «هيه! اركض مثل الطير الطائر ، والحصان الغائر » . وكنت اكاد امسك روحي عن مفارقة جسمي عندما انفذ وعدها ، فاعود مسرعا بلهاث يقطع الانفاس.

من الممكن ان ضباب متاعبي قد انساني كثيرا مما تأسيت ، وفوق ذلك انني ــ ايام طفولتي ــ كنت لا احس تناقضا في حياتي فقد كانت تبدو لي شقاء « سرمديا » .. كنت قد حسبت كل هذه القسوة شيئا عاديا وثمنا لاني اعيش الحياة ! كان هناك شيء واحد يخفف الى حد ما متاعبي ، هو ان ربة البيت كانت تسمح لي بحمل ما يتبقى من طعـام او فاكهة رفقا بأمي المريضة ، وقد وجدت في عملها سرورا في اني اجد انسانا يعطف على اسرتي الشقية .

وذات مساء التقيت بثلاثة صبية من رفاقي بالمدرسة طلبوا منـــي شيئا مما احمل ، وعندما ابيت طرحوني ارضا والتهموا بسرعة كـــل الطعام الذي معي وفروا . وليلتئذ عدت الى منزلي كسير الفؤاد،وبكيت امام سرير امي . كانت مسجاة وعندما احست بحركتي فتحت عينيها ، ونادتني بخفوت فاقتربت منها وارتميت على صدرها الحنون ،واكتشفت فجأة شيئا جديدا : ذلك اني لم اكن اعرف من قبل ان الامومة يمكن ان يكون لها كل القيمة خاصة بالنسبة للاشقياء المحرومين . كان ابـــي يجلس القرفصاء وثمة اشياء كثار تملأ رأسه .. كان «يجتر» آلامـه بصمت فيتلون وجهه بالسهوم ، وعدم القدرة على دفع احداث قدر لهـا ان تقع ، ولذا فقد فوجيء عندما اختنق صوت امي بعتاب مرير :

ــ صالح ! الا ترى الولد .. لاحظ هزاله الشديد . اوه ! لا اريد لابني كل هذا الـ ..شق..اء واستجاب صدرها لخفقان عنيف . واحتدم سعال مميت في حلقها .. لقد حاولت جاهدة ان تخرج الكلمات ، لكـــن القيء ملأ فمها ، وعندما نفثته خيل الي انها تقيأت كل احشائها ..

ومن ليلتها عدت بلا ام .

ووجدت كل العبث في خدمتي وتعبي فلقد « انتهت الكوميديا ».. خيل لي ان متاعب كل الناس تتجمع على هامتي الصغيرة .. الكـــل سعداء عداي !!

لم اكن افطن الى ان هناك من يحسدني عيشي الى ان فجأني يوما صديق لي بهذه الحقيقة : كنا نلهو بصف الحجارة ونبتني منها بيوت الاطفال . وخلال اللعب كنت احس ان صديقي الصغير يتحسر علـــى اشياء كبيرة : ربما كانت امالا بالعيش تحت سقف قصر تحيطه حديقـة غناء تصدح اطيارها ــ نفس امالي انا ــ لكننا ننفس عنها بهذا اللعـب اللامجدي ، حيث ان الشقاء قد يصنع منا رجالا يحسون الحســـد ويلتمع في عيونهم بريق الطمع في عيش المرفهين . وعندما بسطـــت لصديقي مشاركة كل ما احمل من اماني ، تنهد ــ تنهيدة حسد ــ على ما ادركته وقال لي :

« ــ ومالك يا هاشم والتمني لقد كنت اراك سعيدا في بيـوت الموظفين ، فقد رأيتك يوما وانت تعض باسنانك خوخة ، شيء لم اذقـه انا يـــوما . »

وبعد سكوت قصير اكمل : « ليس من حقك يا اخي ان تبكي حظك فقد ذقت عيش المتمدنين في بيوتهم .. بصراحة لقد كنت اسعدنا . »

وتهدج صوت صديقي وطفت عليه مسحة حزن فاسفت لانني سببت له كل هذه الالام ، ولم اقو على تبليغ سخريتي من هذا الشقي الصغير. كنت قد اردت ان اقول له :

« يا لها من سعادة اثارت حسدك ! »

لكن كل ذلك ضاع مع سكوتي الحزين على خسارة الاستمتاع بطفولتي.

العراق ــ قضاء الجزائر — **فهد الاسدي**

المسافر

***

كانت تجيء اليه شاحبة صغيره

تندس في شفتيه بسمتها ، وتلتف الضغيره

في كفه العطشى ، ويحتضنان بعضهما طويلا

وتذوب بين يديه ، والظامات تمتص الاصيلا

عبر الشحوب الكستنائي الغريق

في حمرة تذوي ،

« صديقي آه قبلني طويلا »

كان التفاف الكستناء وعتمة الليل العميق

شهود حبهما ، وكانا يرحلان

في زرقة الافق الشرود

او يقضيان عشية السبت الطويلة يرقصان

في ليل مقهى عاصف بالجاز . كان لشعرها عبق الورود

كانت تجيء اليه يثقلها الحنان

في دفئها وعبير نهديها وسمرة ساعديها

ورحيل نجم متعب في مقلتيها

ثم اختفت عنه ولا يدري لاين

ببساطة لم تأت في الميعاد . كانا عاشقين

والحب في هذا الزمان

مسافر يأتي ويرحل فجأة عنا ، ولا ندري لاين

موسكو — **حسب الشيخ جعفر**